(٥) الكتاب الخامس

كتاب الرد على الملحدين وغيرهم من فرق الضالين

obeikandl.com

(٥) الكتاب الخامس

كتاب الرد على الملحدين، وغيرهم من فرق الضلال

ويشتمل على ثمانية عشر بابا :

١-باب الرد على الدهرية.
٢-باب الرد على أصحاب الكون.
٣-باب الرد على أهل الإلحاد فى التولد.
٤-باب الرد على أصحاب الطبع.
٥-باب الرد على عبدة النجوم.
٦-باب الرد على الثنوية عبدة النور والظلمة.
٧-باب الرد على المتجاهلة.
٨-باب الرد على من جحد النبوة.
٩-باب التوحيد.
١٠- باب الرد على الفضائية.
١١- باب المعرفة.
١٢- باب الرد على من أنكر قول آل محمد صلوات الله عليهم
١٣- باب الحقائق.
١٤- باب الرد على من جحد نبوة محمد، صلى الله عليه وآله.
١٥- باب الرد على من جحد الإمامة.
١٦- باب الرد على من زعم أن الإمامة بعد النبى، صلى الله عليه وآله، فى ذريته، وفى غيرهم من الأمة.
١٧- باب الرد على الإمامية الرافضة.
١٨- باب الرد على الإمامية فى صفة الإمام.

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الله الحمد لله الواحد القديم، الذى لا نهاية لقدمه، ولا إحصاء[1] لنعمه، المنفرد بوحدانيته، المنعم على جميع بريته، الموصوف بحكمته، الموحد لجميع الخلق بقدرته، ونفاذ مشيئته وتمام كلمته، العزيز الذى لا يضام، القوى الذى لا يرام، ولا يسن ولا ينام، ولا يدركه الطالبون ولا ينجو منه الهاربون ولا يتوهمه المتوهمون، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا يغشاه النور ولا الظلمات، ولا تدركه حواس المحسين، ولا تحيط به فكر المربوبين، ولا يخطر على قلوب المخلوقين، تقدس عن ذلك رب العالمين.

جار عن قصد السبيل من كيفه، وأخطأ ظن من اكتنهه، ولم يعرفه من ١٠٦/وصفه بغير ما وصف به نفسه، وكفر به من حده بحد أينه، وشبهه من/ بعضه، وحاربه من جمعه، ليس بمجتمع فيعرف بالتحديد، ولا بمفترق فيعرف بالتعديد، ولا متحرك ولا سكان، فيوصف بصفة العبيد، عز عن ذلك ذو العوش المجيد والبطش الشديد.

ليس بجسم فتدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تقع عليه الأفكار، ولا يشبه شيئا من المصنوعات، فينال بالأوهام الجائلات، ولا تنال معرفته بحاسة من الحواس المدركات، فيدخل فى صفة المحدثات المطيعات، ولا ذاته، سبحانه، فى جهة من الجهات، فيوصف بصفات المحييات المائتات.

---

(١) فى أ : احصا.

فتبارك وتعالى من لا يوصف بشئ من هذه الصفات، وحده لا شريك له وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة عبد مقر بعبوديته، مصدق بربوبيته، ومعتقد لإلهيته، راج لعفوه ورحمته، هارب إليه من خوف عقوبته، معتصم به مستوهبه لهدايته، ومؤمن به متمسك بطاعته؛ شهادة لا يخالطها شك ولا ارتياب ولا يعترض دونها شرك ولا إكذاب.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادة مقر بنبوته، معتقد لمحبته، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وأشهد أن وعده ووعيده حق، وقوله،سبحانه، صدق، وأنه عدل فى حكمه، رؤف بجميع خلقه، وأشهد أن أميرَ المؤمنين **على بن أبى طالب**، صلوات الله عليه، كان خير البرية ١٠٧/ بعد نبيها، صلى الله عليه وآله، وأولاهم[١] بمقام/ الرسول، صلى الله عليه وآله، وأبدعهم علماً، وأكثرهم حلماً، وأطوعهم لربه، وأبذلهم فى سبيل الله لنفسه، وأكملهم فى جميع صفاته، وأشهد بإمامة ولديه السبطين الإمامين الكريمين العالمين، **الحسن والحسين** ابنى الرسول وسليلى البتول الإمامة، وأن الإمامة[٢] من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما، واحتذى[٣] بحذوهما، وكان فى جميع صفاته مثلهما.

اللهم فمن شهد بمثل ما شهدت به، فاكتبه مع الشاهدين، ومن لم يشهد بمثل ما شهدت به، فاكتب شهادتى فكان شهادته. والحمد لله على تمام نعمته، وإكمال حجته.

---

(١) من الهامش... وهو تصحيح : لأولادهم.
(٢) فى الأصل : الأمة.
(٣) فى أ : احتذا.

وبعد؛ فإنى لما اطلعت على كثير من أقاويل الملحدين، زخرف قول المتلددين، واختلاف أهواء الضالين، وباطل كلام المتحيرين؛ واستغلاط الجاحدين الجهلة للمسلمين، وسرعة القلوب إلى الأوهام، وعجمتها فى لجج الظلام، وشكها فى زخرف الكلام، ووجود ما ذكرت فى أكثر الأنام، وإن لم يبدو غير دين الإسلام، فنعود من ذلك بذى الجلال والإكرام.

حدانى ذلك على تصحيح ما دنا به من الدين، وإبطال وساوس الشياطين، فكان أول ما ينبغى لنا أن نذكره، ونبين لمن عقل خلله، ونحتج عليه بأبين الحجج من جحد خالقه، وأنكر صانعه من **الدهرية** الكفرة،وغيرهم من **الثنوية** المتوهمين، الظانين بالله ظن السوء الجاحدين، أجمعوا -لعنهم الله- على نفى خالقهم ، وجحدوا صانعهم، حيرة منهم - لعنهم الله[1] -واستكبارا/ ١٠٨/واستعظاما/ لكون الحق، وإنكارا وتسهيلا فى الدين، ومعاندة للحق جهارا، وإعلانا بالسوء وإسرارا، فنعوذ بالله من قبول خواطر القلوب، والشك فى دين علام الغيوب، ونسأله النجاة من موالاة الشيطان، والحيرة **والمرية** والجحدان، فكم[2] من هالك أردى[3] نفسه بالوهم، وتقحم فى لجج الظلم، قد فارق الحق والهدى، واتبع الغى والردى، وتردد فى الدين ترددا، أو تشعبت به أوهامه، فهو فى بلية من نفسه، فما تدعوه إليه من تماديه فى غيه، وصده عن رشده، قد ملكته **فأهلكته** بأهوائها، **وتفرقت به** السبيل بإغوائها، وزخرفت له ما أمرته من الأسواء

---

(١) ليست فى أ.
(٢) التصحيح من هامش : أ.
(٣) فى أ : أرادا.

ورددته فيما زينت له من الأهواء ورغبته فيما دعته إليه من الإغواء، فهو غير مخالف لها فيما ندعوه إليه، ولا ينكر عليها فيما يخصه عليه، من ترهات المنى[1] وما يرغبه فيه من الركون إلى الدنيا، قد نسى الموت وما بعده من الحساب، مما دخل نفسه من الشك والارتياب، فنعوذ بالله مما أردى[2] الكافرين وأبعدهم وأقصاهم عن رب العالمين.

***

١- باب الرد على الدهرية

قال المهدى لدين الله الحسين بن الإمام القاسم بن على، صلوات الله عليه: إن سأل سائل فقال : **ما الدليل على صنعة الله فى الإنسان؟**

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : الدليل على ذلك قوله، سبحانه : ﴿ولقد خلقنا ١٠٩/الإنسان من سلالة من طين، ثم/ جعلناه نطفة فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[3] فأخبر، سبحانه، عما لا تنكره – بما شاهدنا من ذلك – بأبين البيان وأيقن اليقين محدثاً لا يخفى، بيناً نوره لا يطفئ.
- **فإن قال** : وما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء قديمة العين، حديثة الأحوال بالقوة الهيولة، وهى الأصلية فى لغتنا؟.

---

(١) فى أ : المنا.
(٢) فى أ : ارادا.
(٣) سورة المؤمنون : الآيات ١٢-١٤ .

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك أشد الإنكار، وذلك أن القديم لا يكون محدثاً، كما لا يكون المحدث قديماً، وقولك : قديم. نقضه، بين إذا قلت : ثم حدث فيه حادث. لأن الحادث لا يجرى فى قديم، كما لا يجرى القديم فى الحادث.

ودليل آخر؛ إن المحدث فيه إبانة صنع محدثة، ومحال أن يكون للقديم صانع محدث.

ودليل آخر؛ يوضح فساد قولهم : **قديم العين حديث الأعراض.** إن هذا القديم – الذى زعمت – لا يخلوا من أحد وجهين : إما أن يكون لم يزل ممتنعاً من الحدث غير موجود بجمع صفاته، وإما أن يكون غير ممتنع من الحدث، فإن كان غير موجود الصفات قبل كونه، وكان غير ممتنع من الحدث، صح أن له خالقاً نقله من صفة إلى صفة، حتى أبلغه الغاية التى أراد، وإن كان لم يزل ممتنعاً من الحدث، ثبت على امتناعه ودوامه، ولم يجز أن يتغير أبد الأبد عن /صفة القديم؛/ لأنه إن تغير إلى صفة الحدث، استحال قدمه، ولا يجوز أن يكون القديم مواتاً ولا مركباً ولا محدثاً، ولا موصوفاً بصفة تدل على حدثه، وهذا وجه قد تبين فساده بحمد الله. ١١٠

٢. باب الرد على أصحاب الكون

- **فإن قال** : وما أنكرتم من أن **تكون هذه الأشياء لم تزل موجودة**، بجميع صفاتها، وهى **كمائن** فى أعيانها؟
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لاستحالته وبطلانه، وهذا القول مكابرة العيان؛ لأنا وجدنا النطفة والعلقة، معدومة ثم كانت علقة، والمضغة

عدم، فى حال كونها علقة ثم مغضة، والعظام معدومة، ثم كانت عظاماً مؤلفة لابد لها من مؤلف، وكسوة اللحم عدم، ثم صورة بعد عدم التصوير، والمحدث ما لم يكن ثم كان، وقد وجدنا هذه الأحوال بعد العدم، والصورة غير موجودة، فى حال كونها نطفة، والحركة فى موات من الإنس وغيرهم من الجمادات، والحياة معدومة فى حال الموت، والصورة لابد لها من مصور، وفيها إبانة صنع صانع حكيم.

- **فإن قال :** وما إبانة الصنع فى الصورة؟
- **قيل له،** ولا وقة إلا بالله : تأليف الأجزاء وإحكامها، وتقديرها وإتقانها، يدل على صانعها، إذ لم يكن شئ من ذلك؛ فقضينا على أن لكل مكلف كان معدوم التأليف مؤلفاً، ونظرنا الحياة بعد الموت، فعلمنا بيقين – أن له محيياً/ ١١١/ إذ لم نجد صنعاً وصانعه موجود،وإن لم نره كالبناء لابد له من بان، وإن لم نر من بناه، والكتاب لابد له من كاتب، وإن لم نر كاتبه، والأثر وإن لم نر مؤثره، والصوت إذا سمعناه، علمنا أن له مصوتاً وإن لم نره.

و دليل آخر؛ وهو أن صنع الحكيم العالم بين، ومحال أن يكون فى العلل إبانة صنع، وذلك أن الحكمة لا تكون إلا من حكيم، ولا بيان علم إلا من عليم، وهو الله الرحمن الرحيم، لأنا نظرنا الإنسان إنساناً كاملاً، بعد أن كان نطفة من ماء مهين، فعلمنا أنه لابد له من مكمل أكمله، ونظرنا إليه حياً بعد أن كان مبتّ ا سميعاً بصيراً، بعد أن لم يكن سميعاً بصيراً.

فبان صنع العالم الحكيم، إذ جعل (له) ، سبحانه، سمعاً يدرك به الأصوات، وبصرا يدرك (به) الهيئات، وشماً يدرك به جميع الروائح الخبائث

والطيبات، وذوقاً يدرك به ما ذاق به من الطعوم المختلفات، ولمساً بالجسد كله، يدرك به الحر والبرد والخشن واللين، وغيرهما من الأحوال المجسمات، فكل هذه الحواس المختلفة، تدل على حكمة صانعها؛ إذ خالف بينها، فجعل كل حاسة تصلح لخلاف ما تصلح لخلاف ما تصلح له الأخرى.

ودليل آخر؛ لا تخلو هذه المختلفات من أحد وجهين : إما أن تكون خالفت بين أنفسها، وإما أن يكون خالف بينها مدبرها، فإن كانت خالفت بين ١١٢/أنفسها، فهذا محال؛/ لأنها لم تكن واعية عند كونها، ولا عالمة فى حال عدمها، فلما استحال هذا الوجه صح الثانى، وهو أن لها مدبراً خالف بينها، إذ الفاعل الحكيم بين صنعه فى إحداثها، وجعل لكل واحدة من هذه المختلفات لشئ بعينه، ولا يجعل الشئ للشئ إلا حكيم، ولا يجعل الشئ للضرورات إلا عليم.

ألا ترى أن هذه الحواس جعلت لعلم جاعلها، بضرورة أصحابها إليها وفاقتهم لها، وجعل، سبحانه، لهم من الأغذية واللذات، ما لا قوام له باضطرار إلا بها، وجعل لهم مداخل للأغذية، ومخارج، ولا يجعل المخارج للشئ إلا عالم بما صنع من المداخل، التى لا قوام لهم إلا بها، ولا منصرف لهم عنها، إذ اضطرهم إليها، وجعل لهم ما ينتفعون به من الآلات والأدوات، من الأيدى التى تصلح للبطش والأرجل التى تصلح للخطف والحركة، والسر والألسن الناطقة بأفنان الحكمة المؤدية للمصلحة، والعقول المميزة النافرة عن المضار، المجتلبة للمنافع، التى هى حجج على من جعلت له.

ولا تكون حكمة محدثة، صح حدثها وبطل قدمها، وكانت بعدمها إلا من حكيم مدبر حى قيوم، ولا يجعل ذلك إلا لبقائه ونفعه، لا لفنائه وضره، إذ الحكمة

موجبة لذلك، فيما قد بان من رأفة الصانع؛ إذ جعل فى المصنوعات مصالح، ١١٣/تدل على أنه أراد بذلك لها، وأخبر بذلك على لسان نبيه/ صلى الله عليه وآله، وذلك أوجبت حكمة الألباب، أن من مكن فى الاستطاعةِ من الأيام، لابد من إساءته وإحسانه، فوجب لذلك الثواب على إحسان من أحسن من المحسنين، ووجب عقاب من استحق العقوبة من المسيئين؛ فما انقضت آجال المحسنين ولم يثابوا، وانقضت آجال المسيئين ولم يعاقبوا، علمنا أن دارا غير هذه الدار يثاب فيها من استحقوا الثواب، ويعاقب عليها من استحق العقوبة من المسيئين.

فنسأل الله أن يرزقنا ما رزق المستحقين لثوابه، وأن يصرف عنا ما استوجب العاصون من عذابه، وأن يثبت أقدامنا على صراطه، إنه على كل شئ قدير، وإليه المعاد والمصير.

٣- باب الرد على أهل الإلحاد

وقولهم : إنه لا نهاية لشئ من الأشياء، وأنه لم يزل نطفة من إنسان، وإنسان من نطفة، وبيضة من طائر، وطائر من بيضة، إلى مالا نهاية، وحبة من سنبلة، وسنبلة من حبة، إلى ما لا نهاية له ولا غاية.

قال المهدى لدين الله الحسين بن الإمام القاسم بن على، صلوات الله عليه : فإن قال بعض الملحدين : فما أنكرت من أن تكون هذه الحيوانات، لم تزل تحدث، شئ من شئ ، وشئ بعد شئ، وشئ قبل شئ إلى ما لا نهاية له ولا غاية؟

١١٤/ **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : / أنكرنا ذلك أشد الإنكار، وقولك متناقض فاسد، وذلك أنك قلت : لم تزل. فأوجبت أنها أزلية. ثم نقضت قولك بقولك : تحدث. فأوجبت الحدث والقدم فى حال واحد، فأدخلت القول على نفسك، وذلك أنك إذا جعلتها أزلية بطل الحدث، وإذا جعلتها محدثة أزلية فسد قولك؛ لاستحالة كونها معا فى حال واحد، كما ذكرنا.

ودليل آخر على فساد هذا القول؛ أن كل شئ موجود بذاته، محدث له غاية فى نفسه.

ودليل آخر؛ إن لكل منهم، وإن كثر كون بعضهم من بعض له نهاية وغاية؛ وعليه نعمة فى كل تركيبه وبنيته حكمة، والنعمة لا تكون إلا من منعم، والحكمة لا تقوم إلا بمحكم، وما كان من الحيوانات منعما عليه، وكان فى جميع أسبابه محسنا إليه، فيستحيل أن يكون متناهيا[1]، وأن يكون من غير أصل ولابدء.

ودليل آخر؛ إن كل ما احتمل الزيادة والنقصان، فقد كان ناقصا قبل زيادة ما زاد منه إلى غاية الزائد المتناهى إلى النقص؛ لأن الزائد لا يزيد إلا بعد النقصان، والنقصان متناه[2] بأبين البيان؛ لأن المنقوص محدود بأوضح البرهان.

ودليل آخر؛ إن ما كان له آخر فله أول، ويستحل آخر بلا أول.

ودليل آخر؛ الفرع والأصل، لما وجدنا الفرع دلنا على الأصل؛ ويستحيل فرع بلا أصل.

---

(١) أظنها : غير متناه.

(٢) فى أ : متناهى.

١١٥/ **ودليل آخر**؛ إن الحيوانات/ على قسمين، قسم ميت هو الأصـــل، وقسم حى هو الفرع، وللقسمين غاية ونهاية.

ودليل آخر؛ إن الأصل لا يعدو مكانه الذى هو محله، ومحـــل أصـــول الحيوانات هذه الأرض، والأرض قد حوت الجميع، وحازتهم وتضمنت جميـــع الأموات وأحاطت بهم، وكل ما أحيط به فهو محدود، وكل شئ حل موضعا، فهو صفة أكثر منه عددا، أو ما كان غيره أكثر منه، كان بالبعض محدودا.

ودليل آخر؛ إن أصول الحيوانات محمولة على الأرض كلـــها، وللكـــل نهاية وغاية؛ لأن المحمول على الأرض أقل من حامله، والأرض فقـــد حملـــت جميع الحيوانات من الأحياء والأموات.

ودليل آخر؛ إن الأصول – التى زعمت أنها غير متناهية – لا تخلو مـن العدد وكل ذى عدد لا يخلو من النوعين المعروفين، وهما الشفع والوتـــر، وقـــد وجدنا كل ذى نسل من الإنس والبهائم والطير والزرع، من كل الأشـــجار، ذوات زيادة، غير منفك من العدد، والشفع له نهاية وغاية، وكذلك الوتر أيضا.

ودليل آخر؛ إن الأصل وقع عليه الفناء، وكل ما فنى وامتحق، وقلة نهاية وغاية، ألا ترى أن الموت لا يقع إلا على نفس معدودة متناهية محدودة.

٤- باب الرد على أصحاب الطبع

١١٦/قال المهدى لدين الله/ الحسين بن الإمام القاسم بن على، عليهما السلام : فإن رجع إلى **قول أصحاب الطبائع**[١] فقال : ما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء، حدثت من الطبائع الأربع، الخير والشر واليبس والرطوبة، عند امتزاجها واعتدالها، ثم نقص من جزء وزيد فى جزء، فجاء ضرب غير الأول، ثم على هذا القياس كمثل خضرة وحمرة، وبياض وصفرة مزج، فعدلت حينا، ونقص من جزء، وزيد فى الآخر؟

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك من وجوه شتى: أحدها : إن قولك ظن بغير يقين شاهدته!٠٠ فأرنا من ذلك ما رأيت، وأوجدنا من ذلك ما وجدت؟!٠٠
- **فإن قال**؛ وهو قائل لا شك : حجتنا على ذلك أنا وجدنا الأجسام لا تنفك من هذه الطبائع الأربع، وقضينا عليها بأنها دبرتها، إذ لم تنفك الألوان من الحمرة والخضرة، والبياض والصفرة وغير ذلك، فلو وجب أن يكون ما ادعيتم، لكان أيضا ذلك فى القياس على ما ذكرتم!٠٠

ودليل آخر؛ أنا شاهدنا هذه الطبائع فى الأجسام، بعد إكمال الله، غير فاعلة فعلا، مما ادعيتم٠

---

(١) **أصحاب الطبائع** : فرقة يعبدون الطبائع الأربع، أى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، لأنها أصل الوجود، إذ العالم مركب منها، انظر الموسوعة الفلسفية، ص ٢٧٨ ٠

١١٧/ **ودليل آخر**؛ أنا وجدنا فى الصور التأليف والتركيب وآثار صنع الحكيم المؤلف المركب، ومحال أن تكون العلل مؤلفة أو مركبة أو حكيمة عالمية، إذ هى/ عن ذلك محجوبة الأجسام ولا أساءه ولا عقول لها يقى بها أنفسها، فكيف تدبر غيرها.

ودليل آخر؛ إن هذه الطبائع لا تخلو من أحد وجهين عند اجتماعها، إما أن تكون جمعت أنفسها؛ وإما أن تكون مجموعة بأمر صانعها.

- فإن قلت : إنها جمعت بين أنفسها. فكيف تجمع بين أنفسها وهى أعراض لا توجد متعددة بذواتها موجودة بأعيانها؛ لاستحال ذلك ولما أمكن إذ المفرق الجامع لا يكون إلا جزءا.

ودليل آخر؛ إن الفاعل لا يكون موجودا قبل المفعول، وقد وجدنا هذه الطبائع بوجود المحدث، فعلمنا أن حال المحدثات سواء، إذ وجدن فى حال واحد، وعدمن فى حال واحد؛ لأن الطبيعة لا توجد قبل الجسم، والجسم لا يوجد قبل الطبيعة، والطبيعة فإنما هى عرض، والأعراض على وجهين : فمنها أعراض حادثة بعد حدوث الجسم، ومنها أعراض مع الجسم لم تسبقه ولم يسبقها، والأعراض فلا تسبق الأجسام أصلا، ولا تنفصل بأعيانها أبدا.

فأما الأعراض التى حدثت مع الجسم، فمثل الطبائع الأربع الحر والبرد واليبس والرطوبة، ومثل الاجتماع والطول والعرض والحركة والسكون؛ لأنه قد ١١٨/ يستحيل أن يوجد جسم ليس برطب ولا يابس، وكذلك يستحيل/ أن يوجد جسم ليس بمتحرك ولا ساكن، ويستحيل أن يوجد جسم ليس بحار ولا بارد. فمن

هاهنا قلنا : إن هذه الطبائع أصلية لم تحدث بعد الجسم، ولـــها علـــل وتبقـــى[1] وتصرف بطول شرحها.

وأما العلل التى يمكن أن تحدث بعد حدوث الجسم فمثل أن يكون ســـاكنا فيتحرك، فتحدث الحركة، أو يكون الجسم مجتمعا فتفرق، فيحدث الافـــتراق، أو يكون طويلا فيقصر فيحدث القصر، ومثل الأعراض الحادثة فى الحيـــوان بعـــد عدمها.

٥- باب الرد على عبدة النجوم

قال المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بن على، عليهما الســـلام : فـــإن رجع إلى قول **أصحاب النجوم** فقال : وما أنكرتم من أن تكـــون هـــذه الأشـــياء تصورت لدور الفلك وحركات النجوم، والفلك متصل بالعالم كاتصـــــال خيـــوط الإبرسيم[2] بآلة الحوك[3]، فإذا دار الفلك على المصنوع بسعد تم وصلـــح، وإن دار عليه بنحس فسد ولا يتم، كما إذا حرك الصانع آلة الحوك الملائمة السـدى[4] واللحام، أظهر الحوك ما أراد من صورة؛ إما رأس طائر وإما جناحه؟

قيل له، ولا حول ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك من ثلاثة أوجه :

١١٩/ **أحدها** : أنك قايست ما لا يقايس؛ لأنك / قايست إبطال خيوط بآلة الحوك، وتحريك الصانع لها وإظهار ما تريد تحريكه الفلك والمخلوقين!.. وهذا

---

(١) فى أ : تبقا.
(٢) الإبرسيم : أحسن الحرير.
(٣) آلة الحوك : ماكينة الخياطة والعزل.
(٤) فى أ : السدا.

ما لا ينقاس عند ذوى الألباب؛ لأن الخيوط متصلة بآلة الحوك، غير مباينة للمخلوقين، وغير متصلة بأجسامهم، وحركتها غير متصلة بهم؛ إذ كل منهم منفرد، فذاته ولو أحدثت حركة النجوم فى العالم حكمة، لجاز أن تحدث من تحريك الصانع لجوارحه فى الحوك، صورة مختلفة بغير ملامسة؛ لأنه إذا جاز عندك أن يتحرك النجم بنفسه، فتنقل حركته فى العالم صورا، جاز لحائك الإبرسيم وهو بعيد عنها، كما جاز للنجم ذلك الصورة وهو بائن فيها!.. فهذا وجه[1] تبطل به قياسهم؛

والوجه الآخر : أنك زعمت أن الفلك، إن دار على المصنوع بنحس، فسد ولم يتم، وإن دار عليه بسعد، تم وصلح ولم يفسد، ووجدنا الأمر بخلاف ما ذكرت، وذلك أنا نظرنا إلى الأحمال، أحمال الإناث من الإنس والبهائم والطير والأشجار، وما لا يحصيه إلا الله، عز وجل، من الحيوانات، ربما لم يتم ، وربما تم فى حال دور السعود، التى زعمتم أنه يتم فى حال دورها! ووجدناه ربما تم وربما لم يتم، فى حال دور النحوس، التى زعمتم أنه لا يتم فيها، وما كان من ذلك فبإذن الله وتقديره، مما سنذكره – إن شاء الله– من بيان صنع الله فيهما، وفساد قول من زعم أنها قديمة الحركات إلى ما لا نهاية له.

١٢٠/ **والوجه الثالث** : أنها فى أنفسها مخلوقة، أبان الله صنعه فى إيجاده إياها.

- **فإن قال** ؛ وهو قائل بلا شك : وما دلك على أنها مخلوقة؟

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : دلنا على ذلك إبانة صنعه فيها.

---

(١) فى ب : أوجه.

- **فإن قال** : وما إبانة صنعه فيها؟
- **قيل له**، و لا قوة إلا بالله : وجوه شتى، أول ذلك تصويرها وإحكامها وتقديرها، ولابد لكل صورة من مصور، ولكل تقدير من مقدر، ولكل تدبير من مدبر.

ودليل آخر؛ إنها لو كانت قديمة لما كانت فى أوصافها مختلفة، فلما وجدناها مختلفة الأنواع، علمنا أن لها مدبرا خالف بينها، وفصل بعض هيئاتها وخالف بين صنعاتها.

ودليل آخر ؛ إن فى العالم آثار حكمة صانع العالم، والحركات ليست بعالمة ولا حكيمة مدبرة، ولا هى بحية مقدرة؛ لأنها علل متعلقة بأجسام النجوم غير متلاحقة، لا تعدو مواضعها من معلولاتها.

ودليل آخر على فساد قولهم : إن حركات للنجوم ليس لها أول. وسنبين – إن شاء الله – فساد قولهم، وذلك أن ما قد مضى من حركات لا تحصى، لكبرها فى طلوعها وأفولها، وإقابلها وإدبارها، وما مضى فقد وقع عليه الفناء، وما صح حدثه وصح فناؤه فله نهاية؛ لأن الحركة الماضية على حالين محدثين، وهما الحدوث والفناء؛ لأن الحركة الماضية لم تعدم إلا بعد حدوث كل ساعة ١٢١/ منها ، وما صح حدثه وصح فناؤه بعد حدوثه، فله نهاية/ وغاية.

ودليل آخر؛ إن دور القمر فى المنزلتين الشامية واليمانية، يدل على حدوث حركته وعلى حدوث ما كان من شكله، وذلك أنه لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه : إما أن يكون ما مضى من دوره فى أحد المنزلتين، أكثر من دوره فى

المنزلة الأخرى، وإما أن يكون ما مضى من دوره فيهما سواء بالسوية، وإما أن يكون لم يدر فيهما أصلا.

فإن قلت : إنه لم يدر . جحدت حركته.

وإن قلت : إن دوره فى **أحد المنزلتين** أكثر من دورة فى الأخرى. فللكثير العدد نهاية وغاية؛ لأنها لم تكثر إلا بعد قلة وللقلة نهاية وغاية[1].

فإن قلت : إن حركته فى المنزلتين بالسوية، فهى شفع وللشفع نهاية وغاية، لأن الحركة فى موضعين تدل على التناهى. وكذلك القول فى أفولها وطلوعها، إنه يدل على حدث الحركة وبدئها؛ لأن الحركة لا تكون إلا من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق، وقد مضى من ذلك ما لا يحصى، وكان بعد حدوثه عدما، وما صح **عدمه** جميعه بعد حدوثه فله نهاية وغاية؛ لأن الطلوع والأفول حادثان، وهما بعد حدوثهما منصرفان، وكل ما مضى منهما فهو عدم[2]، وللكل نهاية تحيل القدم.

وإذا صح حدث الفلك، فلا يخلو من أحد ثلاثة أوجه : إما أن يكون أحدث نفسه، وإما أن يكون حدث ولا محدث له، وإما أن يكون أحدثه محدث أبان ١٢٢/صنعه من تركيبه وبنيته، وهو الذى صنع/ وافتطر وأحكم ودبر.

فإن قال : وما أنكرت من تدبيره لنفسه؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأنه لا يخلو فى حال تدبيره لنفسه من أحد وجهين: إما أن تكون دبر لنفسه وخلقها فى حال الوجود، وإما أن يكون

---

(١) فى أ : إنما.
(٢) فى أ : عدما.

ذلك فى حال العدم. فإن كان فى حال العدم، فمحال تدبير العدم؛ لأن الفاعل لا يكون إلا موجودا فى حال فعله، والعدم ليس بشئ موجود فيفعل، وإن كان خلقها فى حال الوجود، فهذا يستحيل؛ لأنها إذا كانت موجودة استحال قولك : خلقها. إذ كان وجوده سابقا لفعله، وأيضا فإن المخلوق لا يفعل إلا حركة أو سكونا، وما أشبهها من الأعراض.

فإن قال : فما أنكرت حدث ولا محدث له؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأن قولك : حدث. يوجب أن له محدثا، ثم نقضت قولك بقولك: لا محدث له. فأقررت بالحدث ثم نفيته!.. لأن الحادث لابد له من محدث أحدثه؛ كما لا بد لكل فعل من فاعل، ولابد لكل بناء من بان، ولكل كتاب من كاتب، ولابد لكل صوت من مصوت ولابد لكل أثر من مؤثر، ومحال أن يكون أثر من غير مؤثر، وصوت من غير مصوت!

ودليل آخر؛ إنه لو كان محدث بلا محدث، لم يكن بالوجود[1] أولى منه بالعدم، ولم يكن بالحدوث أولى منه بالقدم.

ودليل آخر؛ إنه لو كان – كما زعمت– لم يعد أن يكون حدث لعلة، فهذا ١٢٣/محال/؛ لأن العلل ليست بحكيمة مدبرة، ولا بحية مقدرة، كما قد ذكرنا فى أول الكتاب؛ وكذلك أيضا فقد ذكرنا فى **كتاب التناهى والتحديد فى بيان** صنع الله فى العلل وغيرها.

---

(١) أى هذا المحدث بلا إحداث.

فلما استحال هذان الوجهان **صح الوجه الثالث**، وهو صنع الله، سبحانه وعز عن كل شأن شأنه، وذلك أنا نظرنا إلى النجوم والشمس والقمر، فإذا هي مسخرات مدبرات مقدرات، فعلمنا أنه لابد لكل مسخر كان معدوم التسخير من مسخر، ولابد لكل تقدير كان بعد عدمه من مقدر، ولكل تدبير كان بعد عدمه من مدبر، وذلك أنا وجدنا لحركتها غاية تدل على أوليتها، ووجدنا فيها تصويرا وإحكاما، يدل على محكمها ومصورها، ووجدنا لها أقدارا تدل على مقدرها، ووجدناها متفاضلة، فدل تفاضلها واختلافها على المفضل بينها، ووجدنا فيها دلائلا على منافع العباد، وقدوة للخلق فى جميع البلاد، وهداية فى ظلمات البر والبحر، ومصالح لهم فى الليل والنهار، فدل ذلك على أنها نعمة، والنعمة لا تكون إلا من الواحد القهار؛ وجعل فيها من الزينة والأنوار، وأقام بمنفعة ذلك من المعايش والإبصار.

ودليل آخر: إن مكان هذه النجوم والشمس والقمر ضد لها منافر، مفارق ١٢٤/ مباين غير موافق ولا مؤالف، فلما نظرنا التأليف بين الضدين دلنا/ ذلك على حدثهما جميعا، وعلى أن لها صانعا ألف بينها، بلطفه وقدرته وتدبيره، وإظهاره لحكمته.

فإن قال : وما أنكرت من أن تكون تثبت بطباع لها من غير عمد تعمدها؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأن من طباعها الثقل؛ لأن أفولها وطلوعها وهويها، دليل على كونها وثقلها؛ والثقل لا يستقر إلا على متعمد نزلها[1] عمدا، علمنا بيقين أنها تثبت بلطف مدبرها.

---

(١) فى أ : ففإذا لم نزلها.

فإن قال : وما أنكرت من أن يكون الهواء يحملها؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأن من طبع الهواء الضعف عن أن يحمل حبة خردل فما دونها، فكيف يحمل السماوات والنجوم والماء وجبال البرد؟!.. لأن من طبعها الثقل، ومن طبعه الضعف.

ألا ترى السحاب ليس بينه وبين الماء والبرد مشاكلة، وكذلك الهواء لا يشاكل الماء؛ لأن من ظبع الهواء الضعف، ومن طبع السحاب الخفة والطيشان والضعف، فلما وجدنا الماء والسحاب مجتمعين، علمنا بيقين أن ذلك الاجتماع ليس من فعلهما وأن **الجامع بينهما غيرهما**[1]،لأن من شأن السحاب الخفيف أن ١٢٥/ يعلو صعدا، ومن شأن الماء أن ينحدر سفلا[2]،/ فيجب على هذه الطبائع ألا تجتمع طرفة عين، فأى حديث أعجب من اجتماع هذه الأضداد التى من شأنها الافتراق. (و) [3] ليس من طبعها الاجتماع والإلتزاق!

ودليل آخر؛ إن الهواء لو كان يعمد النجوم لما أسلمها إلى الأفول والطلوع، ولو جاز ذلك فى أقل قليل إسلامه لها من حين إلى حين، لما كان أى الخيرين أولى[4] بإسلامها من الآخر؛ لأن الهواء لو كان يعمدها عند طلوعها،

---

(١) فى أ مكرر من أول : لأن من طبع الهواء.. حتى غيرهما.. وقد كتب المراجع والمصحح لهذه النسخة بمقابلها فى الهامش : مكرر فى الأم كذلك. مما يدل على دقته وقوة ضبطه.

(٢) يبدو أن المسلمين القدماء كانوا على علم بقوانين الكثافة، وأحاطوا علما بقدرة كل عنصر من حيث كثافته.. وهذا يدخل فى إطار معرفتهم بالطبيعة والجسم والكون وأسرار كل منها.

(٣) ليست فى أ.

(٤) فى أ : أولا .

لوجب أن يعمدها أيضا عند أفولها!.. ولو كان الهواء هو الذى يسقطها عند غروبها، لأسقطها فى وسطه قبل مغيبها، فلما وجدناها لا تسقط عند طلوعها، علمنا أن لها مسخرا أطلعها، فلما استقلت فى وسط الجو، ولم يسلمها إلى الهبوط، علمنا أن غيره أمسكها، لأنه يضعف[1].

٦- باب الرد على الثنوية عبدة النور والظلمة

قال المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بن على، عليهما السلام: فإن رجع إلى قول الثنوية، فقال : وما أنكرتم من أن تكون هذه الأشياء أحدثها اثنان سميعان بصيران عالمان، فالنور يخلق كل خير، والظلمة تخلق كل شر ومكروه وضر، وليس ذلك باختيار، ولكن ذلك بطباع أزلية؟.

١٢٦/ **قيل له، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك من وجوه/ شتى : أولها : أنك لا تخلو فى قولك هذا من أحد وجهين : إما أن تكون قلته تظننا وتوهما، وإما أن تكون قلته بدرك يقين!.. فإن قلت؛ إنك أدركتهما رأى العين يخلقان. أحلت، وإن قلت : بل ظننت وتوهمت. فقد قال الله، عز وجل ﴿ إن الظن لا يغنى من الحق شيئا﴾[2]!..**

---

(١) لا يخفى أن القدماء كانوا يشعرون بالجاذبية ولذلك تكلموا كثيرا عن دورة الفلك.. ولكنهم كانوا يجهلون قوانينها.

(٢) سورة يونس : آية ٣٦ .

وإن قال، وهو قائل لا شك: حجتى على ذلك أنى نظرت فى العالم خيرا وشرا، فقضيت على أن الخير والشر من أصلين : أحدهما فاعل خيرا، والآخر **فاعل شرا**، ولا يمكن أن يأتى بالخير من يأتى بالشر، ولا يمكن أن يأتى بالشر من يأتى بالخير.

قيل له، ولا قوة إلا بالله : قولك هذا تظنين وتوهم، ويستحيل من وجوه شتى، أولها أنا وجدنا فاعل الخير والشر واحدا، ولو كان كما توهمت لما أحسن محسن، ولا اعتذر مذنب، ولا تاب مخطئ، إذ زعمت أنه لا يأتى بالخير مسئ أبدا.

ودليل آخر؛ أن الخلق تام متقن محكم، وفيه إبانة صنع محدثه، ومحال أن تكون الحكمة من علة من العلل الطبيعية.

ودليل آخر؛ إما أن يكونا عند تمازجهما، أحدثا الخلق بإرادة منهما، وإما أن يكون حدث بطباع تمازجهما.

فإن قلت : إن الخلق حدث بإرادتهما. أحلت؛ لأنك وصفتهما بصفات ١٢٧/ تدل على حدثهما، وذلك أنك زعمت أن لكل واحد منهما خمس حواس/ مختلفات، ولابد لما اختلف من الأشياء من صانع خالف بين أجناسه؛ لإظهار حكمته، فكل واحدة تصلح لخلاف ما تصلح له الأخرى[1]؛ لفاقته إلى ما جعل له صانع، وإذا كان فى الشئ من الأشياء ما يدل على حدثه بطل قدمه، وإذا بطل قدمه لم يكن الفعل أولى من غيره، ولزمه إذ ذلك ما يلزم مثله من العجز على أن يصنع.

---

(١) فى أ : الأخر.

وإن قلت : إن الخلق حدث بطباع تمازجهما. أحلت؛ لأن المصنوع المطبوع لا تعدوه طبيعته، والاجتماع فهو غرض لا يتعداهما إلى غيرهما، كما أن افتراقهما لا يوجب حكمة سواهما.

ودليل آخر؛ أنهما إذا كانا من التصوير على ما ذكرت، وفي تمام الحواس على ما وصفت، فقد يجب شكر المنعم بكمال أدواتهما، والمنفصل بتملم جوارحهما، إذ جعل لهما حواسا[1] خمسا عيانا وسمعا وذوقا وشما ولمسا، وخالف بين علمهما وحواسهما، وغاير بين صفات أجناسهما.

ودليل آخر؛ يقال لهم : ما العلة التى أوجبت تمازجهما بعد مباينة كل واحد لضده، إذ زعمتم أنها تمازجا بعد مباينة كل واحد لصاحبه؟

فإن قلتم : إن الظلمة بغت على النور. أوجبتم حدث حركة لاقت بينهما، وإذا حدث بينهما حادث فهما على حالين محدثين، وهما الحركة والسكون وما كان من الأشياء متحركا أو ساكنا فهو مضطر إلى الحركة والسكون، وما كان ١٢٨/من الأشياء الأشياء متحركا أو / ساكنا، فهو مضطر إلى الحركة والسكون، والمضطر لابد له من صانع اضطره إلى الحوادث وبناه عليها.

ودليل آخر؛ قالوا : إنهما تمازج بعضهما ولا نهاية لما بقى منهما، وإذا كان لهما بعض تمازج بحركتهما الذى بقى منها. لا يخلو من أن يكون ساكنا كله فينتظمه السكون، ويتعلق بجميعه، أو يكون غير ساكن ولا متحرك فيكون عدما.

---

(١) فى أ : صوانا.

ودليل آخر؛ لا يخلو أن من أن يكونا ميتين أو حيين. فإن كانا ميتين فقد لايسهما الموت وحواهما، وإن كانا حيين فقد حوتهما الأرواح وناهتهما.

ودليل آخر؛ لا يخلو كل واحد منهما من أن يكون مجتمعا أو مفترقا، والافتراق يوجب التوصل، والاجتماع يوجب التوصل، والتوصل والتفصيل لا يكونان إلا من صانع موصل مفصل.

ودليل آخر؛ قال بعضهم : إنهما جنسان فالنور بياض كله والظلمة سواد كلها، وللكل نهاية وغاية؛ لأن البياض قد لبس النور كله، ولابد لكل لباس من ملبس، وكذلك القول فى السواد أنه قد لبس الظلمة كلها، وللكل نهاية وغاية، وإذا حواهما لباسهما فقد حدهما وتضمنهما، والسواد والبياض فهما عرضان صفتان لغيرهما، والخالق ليس بعرض ولا جسم؛ لأن الجسم فيه إبانة صنع صانعه، والعرض صفة له، لا إحسان له ولا إساءة، ولا قوة له ولا عقل ولا حياة ولا ١٢٩/ فعل من الأفعال، فكفى لعمرى بشئ/ هذا صفته عجزا وضعفا.

ودليل آخر؛ البياض والسواد لابد لهما من صانع خالف بين أجناسهما؛ لأن القديم لا يخالف القديم والمحدثات أضداد لابد لها من مضاد ضاد بينها بقدرته، لنعلم ألا ضد له[1].

---

(١) فى أ : فكفا.

٧- باب الرد على المتجاهلة

قال الحسين بن القاسم، عليهما السلام : فإن رجع إلى قول المتجاهلة فقال: وما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء لا يصح علم أحديها، لأن النائم لا يصح منامه إذا استيقظ، والظل فى الماء والمراية لا يصح إذا طلب، فلعل هذه الأشياء التى تذكرون ستبطل كما بطل غيرها؟

قيل له : ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأن ما بطل من الأشياء إنما بطل لعلة، وذلك أنه لا حقيقة لعلل النائم، وإنما صح عنده الباطل فى حال تغير عقله، وبطل عنده الباطل فى حال صحة عقله حين استيقظ، مثل رجل رأى فى منامه أنه مقطوع اليد، ثم انتبه من منامه، فلم يجد لما رأى[١] حقيقة، وذلك أنه إنما رأى ذلك فى اليقظة فى صحة من عقله، لما بطل ذلك عنده بلا حقيقة، فبطل عنده حين عقل، ولو أنه رأى ذلك.

ألا ترى أنه لو رأى فى منامه أنه قتل وصلب، بطل ذلك عند يقظته[٢]، ولو أنه قتل فى حال صحته عقله ويقظته[٣]، لما بطل ذلك عنده إلى يوم ١٣٠/القيامة.. فنعوذ بالله من / الكفر بعد الإيمان، ونسأل الله لتثبت على الهدى والبرهان، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ ذى العزة والسلطان.

- **فإن قال** : فما الدليل على حقائق الأشياء؟

---

(١) فى أ: رأ.
(٢) فى أ : يقضته.
(٣) فى أ : يعصته.

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : وجودها مبرأة من عوارض العلل التى تعـــرض دون دركها.
- **فإن قال** : فما العوارض التى تمنع من درك الحقائق.
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : من ذلك النوم وزوال العقل وتغير الحواس.
- **فإن قال** : فما حقيقة الجسم؟
- **قيل له**؛ وجوده **بذاته** مرئيا مدركا تحويه الجهات الســـت الفــوق والتحــت واليمين والشمال والخلف والأمام.
- **فإن قال** : وما حقيقة العرض؟
- **قيل له**؛ ولا قوة إلا بالله : وجوده بحيث أحله الله من الأجسام.
- **فإن قال** : فما حقيقة الحس؟
- **قيل له** : دركه الحاسة للمحسوس.
- **فإن قال** : فما حقيقة الحركة؟
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : وجود العضو المتحرك زائل عن اللبث.
- **فإن قال** : فما حقيقة السكون؟
- قيل له، ولا قوة إلا بالله : وجود العضو الساكن لابث غير زائل.
- فإن قال : فما الدليل على أن الحركة غير المتحرك؟
- **قيل له** : وجود العضو على غير الحركة ساكنا، ثم ترى[1] الحركة، فتعلم أن الحركة شئ لم تره ثم رأيته، ولو كانت الحركة هى العضو المتحرك؛ لرأيت ١٣١/ الحركة فى حال السكون،فلما رأيت العضو/ ساكنا، ولم تر الحركة، ثم

---

(١) فى أ : تراه.

رأيتها علمت أن الذى لم تكن رأيته غير الذى كنت رأيت. فقس وافهم -- إن شاء الله تعالى.

٨- باب الرد على من جحد النبوة

قال الإمام المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بن على، عليهما السلام : فإن قال : وما أنكرتم من أن يكون لنا خالق على ما وصفتم، ولم يرسل رسولا؟

قلنا : بحمد الله، ردا[1] على هؤلاء : سنذكره، وذلك أنهم جحدوا الرسل، واعتلوا فى ذلك بأن الله، سبحانه، حكيم، والحكيم إذا علم أنك لا تحبه فلا يرسل إليك إلا وهو عاتب.

فيقال لهم : ليس الأمر كما توهمتم؛ ولكن إذا علم الحكيم أنه قد أعطاك قوة تفعل بها ما أمرك بفعله، وتترك ما أمرك بتركه، ثم أرسل إليك، فلا يرسل إليك إلا وهو يعلم أن لك قوة إلى فعل ما أمرك بفعله، وترك ما أمرك بتركه.

ويقال لهم : اعلم الله مانع له من إرسال الرسل، أم علمه مانع لكم من طاعته؟..

فإن قالوا : إن علمه منعه. جعلوه ممنوعا مضطرا مدفوعا، وجعلوا العلم شيئا مانعا، ولحجته دافعا، فسبحان الله عما يشركون، وإنما علمه ذاته.

وإن قالوا : إن علم الله مانع لهم من طاعته. فقد أحالوا فى قولهم؛ لأن العلم هو الله، والله حكيم، والحكيم لا يمنع المطيعين من طاعته.

---

(١) فى أ : رد.

١٣٢/ **ودليل آخر**؛ إن الحكيم إذا علم/ أنه يعصى[1] لم يمنعه ذلك من الرسالة إلى من عصاه؛ لتكون الحجة له عليهم؛ ولتكون دعوته ورسالته أقطع لعللهم وأدحض لحججهم.

ودليل آخر؛ إن الحكيم إذا علم بمعصية أعدائه، لم يمنعه علمه بمعصيتهم من الرسالة إلى أوليائه.

٩- باب التوحيد ونفى التشبيه

قال المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بن على عليهما السلام : فإن رجع إلى قول أصحاب الاثنين، فقال : وما أنكرتم من كون خالقين قديمين، بالصفات التى وصفتم بها الواحد القديم، وهو الله الرحمن الرحيم؟..

قيل له : ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك لتضاد الاثنين.

فإن قال : وما أنكرت من اتفاقهما؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : لو اتفقا فى العلم والجهل، والقدرة والعجز، فإن كان كل واحد منهما يقدر على إخفاء فعله وخلقه فى سماواته وأرضه عن صاحبه، خرجا جميعا من العلم، وصارا جميعا إلى الجهل، إذ كان كل واحد منهما جاهلا بما يخفى عنه صاحبه من الفعل، وإن كانا لا يقدران على إخفاء كل واحد فعلا يفعله، خرجا من صفات القدرة إلى العجز، إذ كان كل منهما لا يقدر أن يخفى فعله عن الآخر، وإذا كانا عاجزين جاهلين، صح أنهما مخلوقان.

---

(١) فى أ : يعصا.

١٣٣ / وإذا كان أحدهما يقدر على إخفاء فعله، والآخر/ لا يقدر، ثبتت الربوبية للعالم القادر، المربوب هو العاجز الجاهل؛ لعجزه عن قدرة خالقه؛ إذ لابد للعاجز من معجز أعجزه ومنعه.

ودليل آخر : إنهما إذا كانا اثنين لم يخلو من ثلاثة أوجه : إما أن يكونا حكيمين، وإما أن يكونا سفيهين، وإما أن يكونا أحدهما سفيها والآخر حكيما، فإن كانا حكيمين[١].. وإن كانا[٢] سفيهين فهما غير قديمين؛ لأن السفه والعبث إنما تولد من الهوى، والقديم لا يعبث ولا يهوى؛ لأن الهوائية ضرورة جعل للبلوى، وإن كان أحدهما حكيما و الآخر سفيها، فالربوبية للحكيم الذى بين حكمته، والسفيه مربوبٍ مخلوق عاجز، والله أعجزه وابتلاه، وركبه على الشهوات وبناه.

---

(١) هناك نقص فى النسختين معناه واضح من السياق.
(٢) فى أ : كان.

obeikandl.com

١٠- باب الرد على الفضائية.

قال المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بن على، عليهما السلام : فإن رجع إلى قول **الفضائية**، فقال : فإذا أوضحت لى أنه واحد، فما أنكرت من أن يكون الفضاء الهواء المكان الذى فيه الأشياء قديماً؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك من وجوده شتى؛ أحدها : أن الفضاء جسم ضعيف، والخالق لا يكون جسماً، ولو كان جسماً لما قدر على خلة ١٣٤/جسم، والخالق – أيضا- لا يكون ضعيفاً؛ لأن الضعيف / مخلوق .

ودليل آخر؛ إن الفضاء مجتمع موصل، ولابد لكل مجتمع من جامع، ولابد لكل توصيل من موصل، والله موصله وجامعه ومبتدعه وصانعه، وأيضاً فإنه محدود ولابد لكل محدود من محدد قطع حدوده وناهاه، و أوضح نهايته وغاياه.

ودليل آخر؛ إن الهواء موات، ولابد من مميته ومجمده ومضعفه ومحدده، ومن هؤلاء[١] الفضائية من يقر[٢] بالقرآن، والله يقول، عز وجل من قائل :﴿**ولا يحيطون بشئ من علمه**﴾[٣] والهواء يدرك ويحاط بعلمه، ويقول، سبحانه : ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾[٤]، والهواء يدرك[٥]، فهو المسافة المدركة بين السماء والأرض.

---

(١) فى أ : هوه.
(٢) فى أ : يكفر.
(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .
(٥) ليس فى أ : يدرك.

ودليل آخر؛ إن الهواء ساكن وربما تحرك، فهو مضطر إلى الحركة والسكون، ولابد له من صانع اضطره إليهما وبناه عليهما.

ودليل آخر؛ كل ما لا ينفك من الحركة والسكون، فهو محدث لأنهما محدثان يكثران ويقلان؛ لأن الهواء قد طال مقامه فيما مضى من الأزمان، والأزمان محدثة بأبين البيان؛ لأن ما مضى منها فلم يعدم إلا بعد حدوثه ساعة بعد ساعة، وتلك الساعات فقد عدم جميعها بعد حدوثها كلها، وللكل نهاية وغاية، وهو لم ينفك منهما ولم يكن قبلهما، وإذا لم يكن قبلهما فهو فى الحدوث ١٣٥/مثلهما. نَسأل الله المغفرة/ والهدى ونعوذ به من الحيرة والردى[1].

١١- بـــاب المعرفـــة

- **فإن قال : فما الدليل على معرفة الخالق، و أين هو ؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : الدليل على معرفته ما أظهر من الصنع المتقن، وأقرب الأدلة إلى الإنسان نفسه؛ لأنا رأينا كل جارحة من جوارحه، لم تشتغل إلا لمصلحة من مصالحه، فعلمنا أن الإصلاح لا يكون إلا من صانع عالم؛ لأنه لو كان جاهلاً لما اهتدى إلى الإصلاح.
- وأما قولك : **أين هو ؟** .. فإن أين مكان، وربنا ليس فى مكان؛ لأنه خالق المكان، وهو كان ولا مكان.
- **فإن قال : فكيف هو؟..**

---

(١) فى أ : الردا.

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : لا كيف له؛ لأن كيف صفة من صفات خلقه، محتملاً أ وصاف الأجسام، والله ليس بمكيف مصنوع فيوصف بصفات المطيعين.
- **فإن قال** : ففى أى الجهات هو، أفوق كل شئ أم تحت كل شئ، أم هو محيط بكل شئ، أم هو فى كل شئ أم هو مع كل شئ؟..
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : مسألتك تحتمل ثلاثة أوجه : إما أن تكون عنيت **ذاته**، وإما أن تكون عنيت **علمه**، وإما أن تكون عنيت **قدرته**.

أ- **فإن قلت** : عنيت بقولك : **قدرته**. فهو لعمرى فوق كل شئ قاهر، وذلك قوله، سبحانه ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾[1].

ب- وإن كنت عنيت بفوق وتحت ومحيط وفى ومع، تريد علمه، فهو لعمرى كذلك محيط بكل شئ وفى كل شئ لا يخلو من ه شئ، ومع كل شئ لا يخفى[2] عليه شئ.

١٣٦/ جـ- وإن كنت عنيت / ذاته، فمحال أن يكون محاداً للعالم فيكون مجزأ مبعضاً، لأنه إذا كان فوق العالم فالذى يحاد العالم فيه أسفل، وإذا كان تحت العالم، فالذى يحاد العالم منه أعلا، وإذا كان محيطاً، فالعالم منه فى كل أو بعض، والكل والبعض من أوصاف المخلوقين، وكذلك إذا كان فى العالم، كان العالم له محلاً ومسكناً وملجأ ومعقلاً، وكان مكانه أكثر منه وكان محدوداً، والمحدد؛ لابد له من محدد لأنه إذا حاط به المكان فله غاية ومنطقع، وما كان له منقطع فله قاطع؛ لأن المقطوع مفروغ منه، والفراغ

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٨، ٦١ .
(٢) فى أ : يخف.

من فعل المحدد القاطع للمحدود المناهى، وهو الله محدد الأجسام وقاطعها، ومفتطرها وصانعها ومفرقها وجامعها؛ وهذه صفات المخلوقين الموهمين ذوى الأماكن المدبرين.

وربنا بخلاف خلقه لأنه لا يقع عليه الفكر، ولا يخطر على بال؛ لأنه ليس فى مكان، ولا بينه وبين خلقه مكان؛ لأن المكان لو كان بينه وبينهم، لم يخل ذلك المكان من أن يقربه فيكون قريبا منهم أو بعيداً فيبعده عنهم، ولو كان قريباً بذاته منهم، لكان مقرباً لابد له من مقرب قربه، ولو كان بعيداً بذاته عنهم، لكان معبدًا؛ لابد له من مبعد أبعده.

ودليل آخر؛ إنه لو كان بينه وبين خلقه مسافة، لم تخل تلك المسافة من أن يكون قارنت كله أو بعضه، وللكل والبعض نهاية وغاية، والله، سبحانه، ليس ١٣٧/بذى كل/ ولا بعض ولا طول ولا عرض، ولا تحت ولا يمين ولا شمال، ولا خلف ولا أمام، ولا لون ولا طعم ولا رائحة، ولا محسة ولا افتراق ولا اجتماع، ولا حركة ولا سكون؛ لأن هذه الصفات لا تكون إلا فى الأجسام التى ذكرنا، والله خالقها وجاعلها.

١٢ـ باب الرد على من أنكر قول آل محمد، صلوات الله عليهم في أن الله شئ لا كالأشياء

قال الحسين بن القاسم، عليهما السلام : فإن قال قائل : لم زعمت أن شئ، ولم تقل مشئ الشئ، وقد علمت أنا لم نجد شيئاً إلا جسماً، فهل نفيت عن ذلك صفات الأجسام؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : اعلم أن قولنا شئ إثبات موجود، ونفى معدوم. وقولنا لا كالأشياء، نفى التشبيه، وذلك قول الله، عز وجل: **﴿قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد﴾**[١] فسمى[٢] نفسه شيئا. ثم قال **﴿ليس كمثله شئ﴾**[٣]، فحكينا من قوله ما قال ونسبنا إليه، سبحانه، ما نسب إلى نفسه ونفينا عنه ما نفى[٤] عن نفسه من شبه خلقه.

مسألة : فإن قال : أهو عالم؟

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : نعم هو، سبحانه عالم.
- **فإن قال** : أعلمه هو أم علمه غيره؟
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله: اعلم – أيها السائل – أن علمه وقدرته، صفتان من صفات ذاته، هما الذات، والذات (هما) [٥]، وهو العالم بنفسه القادر بنفسه، الحى بنفسه لا بحياة سواه، ولا علم ولا قدرة غيره.

---

(١) سورة : الأنعام : آية ١٩ .
(٢) فى : فسما.
(٣) سورة الشورى : آية ١١ .
(٤)فى أ : نفا.
(٥) فى النص (أ) فوق هذه الكلمة : كذا، أى فى النسخة الأم.

- **١٣٨/مسألة : فإن قال : ربكم مريد ؟**
- **قيل له :** نعم.
- **فإن قال :** ما أراد به؟
- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله : فعله للشئ فقط.
- **مسألة :** فإن قال : **ربكم يقدر أن يريد أو يريد أن يقدر؟**
- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله : هذه مسألة مغالطة، منها ما يصح، ومنها ما يفسد، فأما الصحيح فقولك : **يقدر أن يريد.** لأن الإرادة فعله، وهو لعمرى قادر على الأفعال، وأما الفاسد المحال فقولك : **يريد أن يقدر.** فكأنك قلت : فعل القدرة، وهو لم يزل قادراً، فجعلت القدرة من المفعولات. ففسد واستحال.
- **مسألة :** فإن قال : ربكم يعلم أن يقدر، أو يقدر أن يعلم؟ ففاسد محال؛ لأن القدرة لا تقع إلا على المقدورات، وليس علم الله بمقدور، فتقع عليه القدرة.
- **مسألة :** فإن قال : **ما دليلك على أن الله حى؟**
- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله : لأنا نظرنا إلى الحى[1]، فإذا هو متصل تام محكم متقن، فعلمنا أنه صنع حكيم حى؛ لأن الميت لا يقى نفسه، فضلاً عن غيره، ومحال تدبير من هو ميت، والحكيم لا يكون إلا حياً، والميت لا علم له وقدرة ولا إرادة ولا حكمة.
- **مسألة :** فإن قال : **فما دليلك على أنه قادر؟**
- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله : أبين الأدلة وأوضحها، وذلك لأن العاجز لا يقدر على فعل شئ أصلاً، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرًا.

---

(١) فى الأصل : الحق.

- ١٣٩/ مسألة : فإن قال : **فما دليلك على / أنه عالم؟**
- **قيل له** ، ولا قوة إلا بالله : لولا أنه عالم لما اهتدى خلق الأشياء من غير شئ، بل لعلمه بها قبل تكوينه لها، خلقها وفطرها واخترعها، بغير مثال احتذى[1] عليه، وكيف لا يعلم المتبدع ما ابتدع، والحكيم الصانع ما صنع؟
- **مسألة** : فإن قال : له **حد أو نهاية أو أمد أو غاية** ؟
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : تعالى الله خالقنا عن أن يكون له حد أو نهاية، أو أمد أو غاية؛ لأن كل محدود لابد له من محدد أحاط به، وكل ذى عدد لابد له من معدد، وربنا ليس بذى حد به يحد، ولا بذى أجزاء تعد.
- **مسألة** : فإن قال : فهل **يدرك بحس أو نفس؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : هذا محال لا يجوز على الله؛ لأن النفس لا تدرك إلا جسماً وعرضاً، وكذلك درك الحس أيضا، والجسم والعرض محدثان ومدبران بعد العدم مصنوعان[2].

١٣- بـــاب الحقائـــق

- **فإن قال : فما حقيقته فى ذاته ؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : مسألتك تحتمل وجهين : إما أن تكون أردت حقيقة ذاته، وإما أن تكون أردت الدلالة على وجوده، فإن كنت أردت ذاته فحقيقته ذاته، وذاته حقيقته وإن كنت أردت الدلالة على حقيقته.

والجواب فى ذلك، أن وجود خلقه وصنعه يدل على أنه شئ حق، وليس ١٤٠/ عندنا من الجواب فى المسألة إلا ما ذكرت لك، إذ كل / شئ موجود

---

(١) فى أ : احتذا.
(٢) فى الأصل : مصنوعات.

مدرك محسوس، يعرف حقيقته بذاته، والله لا يعرف إلا بما أظهر من حكمته، وحقيقته قدمه، وهو حقيقة ذاته، وكذلك غير القدم من صفاته، كعلمه وقدرته وحياته.

- مسألة : فإن قال : **فما هو ؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : مسألتك تحتمل ثلاثة أوجه : إما أن تكون سألت عن **اسمه**، وإما أن تكون سألت عن **صفته**، وإما أن تكون سألت عن **ذاته**، فإن كنت سألت عن اسمه فهو الله الرحمن الرحيم، وإن كنت سألت عن صفته فهو الواحد القديم القدير العليم، وإن كنت سألت عن ذاته فهو الذى ليس كمثله شئ.
- **مسألة** : عن الإرادة.
- **وإن قال : لم يزل الله مريدًا أم إرادته حدثت**، ولم تكن أزلية؟
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : **اعلم أن إرادة الله، سبحانه، هى فعله**، وأما إرادته لطاعة عباده، فهى أمره لهم فقط، وكذلك سخطه لمعصيتهم، فهو نهيه لهم، والله، سبحانه، لم يزل عالما بجميع فعله، عالماً بجميع ما سيريد تكوينه، وإنما الذى يريد بلا علم تقدم وتضمن بغير تكوين، هو الإنسان الجاهل الحائل الفكر، الذى تحدث له النية والضمير والإرادة، بإضمار القلب والطوية.

ولو كانت إرادته قبل فعله لكانت إرادته كإرادة المخلو ، ولكانت عرضاً من جسم، ولو كان جسماً لأشبه الأجسام، وإنما إرادته فعله، وفعله مراده، ١٤١/وليس/ ثم إرادة غير المراد، فيكون مشابهاً للعباد، ومحبة الله هى رضاه، ورضاه محبته، ومحبته ثوابه، وبغضه غضبه، وغضبه عقابه، وكراهته نهيه لا

غير ذلك، وهذه صفات تكون لله فعلاً، وتكون للمخلوقين بخلاف ما هى لله، أعراض علل فى المعلولات؛ لأنه إرادة المخلوقين اهتشاش قلوبهم، ومحبة نفوسهم قبل فعلهم وكراهتهم ومحبتهم، وكراهتم مختدعان فى صدورهم.

وحاش لله أن يوصف بصفات خلقه، والشهوة والكراهة يثبتان ضروريتان، وحاش لله أن يكون مضطراً إلى شئ أو مبنياً عليه.

- **مسألة** : فإن قال : **فما دعاه إلى أن يخلق ؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال، لا يجوز على الله، سبحانه؛ لأنه لم يزل عالماً بلا داع خطر؛ لأن[1] الخاطر الداعى من صفات الجهال المخلوقين، الذين يذكرون النسيان، والناسى لا بد له من مانع منعه، وهو الله الذى فطره على الضعف وصنعه.
- **مسألة** : فإن قال : فأيهما أكثر إقامته، قبل أن يخلق، أم إقامته بعد أن خلق؟
- قيل له؛ ولا قوة إلا بالله : هذه مسألة محال لا يصح بها اعتقاد ولا مقال؛ لأن الإقامة من صفات المخلوقين، وليست من صفات رب العالمين، والإقامة /١٤٢ فإنما هى الحركات والسكون./
- **مسألة** : فإن قال : **أخبرنى عن الله لم يخلق خلقه قبل أن يخلقهم؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : هذه مسألة تستحيل، ولا تثبت عند أحد من أهل العقول؛ لأنك قلت : يخلق الخلق قبل أن يخلقه. فأوجبت لن قبل الخلق زماناً متقدماً، والله خالق الزمان والمكان والحيز والأوان، وهو الأول للذى لا قبلى لأوليته، ولا كيف لأزليته، كان فى حال القدم ولا عقل ولا معقول سواه، ولم

---

(١) فى أ : لئن.

يكن معه أزمنة ولا شهور ولا ساعات، ولا أمكنة ولا أوقات، ولا علم ولا معلوم، ولا فهم ولا مفهوم، ولا وهم ولا موهوم.

- **مسألة :** فإن قال : **خلق الله بعلم أو بقصد وإرادة ؟**

قيل له. ولاقوة إلا بالله : إن العلة لازمة بغير إرادة المعلول، وما كان بغير إرادته فلم يقصده، وما كان غير مقصود فلم يعمده، وما كان غير متعتمد لم يخل من أن يكون قديماً أو محدثاً، فإن كان محدثاً، فالمحدث له لا يخلو من أن يكون عنه جاهلاً أو مضطراً إلى الجهل، أو رباً عالماً بالفعل، فإن كان هذا الصنع من علة بغير قصد ولا مشيئة فهذا محال؛ لأن العلة لا توجب حكمة بالغة، ولا نعمة سابغة؛ لأن العلة ضرورة بنى عليها المعلول، وليست ١٤٣/ توجب حكمة عند أهل العقول/ وما كان مضطراً فهو ممنوع من الاختيار، وما كان ممنوعاً ملجأ إلى الاضطرار، فصانعه بخلافه فى جميع الأمور، بفضل الفاطر على المفطور، وأن هذا الصنع من رب عالم صنعه بعلمه واختياره، وأوجبه بقوته واقتداره، وجاد على البرية بإظهاره غير مضطر، إليه ولا مكره بالعلل عليه، فذلك مجرى العلل فى المعلولات، وصانع جميع المصنوعات، وفاطر الأرض والسماوات.

- **مسألة :** فإن قال : **فهل**[1] **لإرادة الله نهاية؟**

- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله : اعلم أن الإرادة هى الفعل، وللفعل نهاية وغاية، والفرق بين إرادة الله وإرادة خلقه، أن إرادة المخلوقين خواطر، وإرادة الله سبحانه أجسام موجودة بصفاتها، وبدائع تعرف بحياتها.

- **مسألة :** فإن قال : **ما الفرق بين فعل الله وفعل خلقه؟**

---

(١) فى الأصل: فهذا.

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله: الفرق بين ذلك أن فعل الله ابتداع واختراع، وفعل العباد حركات وسكون واعتقاد، وأفعال العباد بآلاتهم، وهى أعراض متعقلة بأجسامهم، وأفعال الله متعلقة بذاته.
- **مسألة : فإن قال : أخبرنى كيف خلق الله الخلق؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : هذه المسألة تشتمل على وجوه كثيرة، فمن ذلك أن ١٤٤/يكون السائل أراد بقوله : كيف خلق/ أى كيف أسعده الخلق وتهيأ له، ومن ذلك أن يكون أراد بقوله : هل خلقه بخيله أو عاقان[1] أراد أنه خلق الخلق بخيله، فهذا محال لا يجوز عليه، ولا ينسبه عالم إليه. وإن أراد بذلك أنه خلق بعلة، فهذا محال؛ لأن العلة لا تخلق من صفات المحدثات، والمحدثات لا تخلق أمثالها ولا توجب أشكالها؛ لأن المحدثات هى الأجسام والأعراض، والجسم لا يخلق جسماً ولا يوجد لحماً ولا دماً.
- وإن أراد كيف خلق ؟ يريد بذلك أى كيف تهيأ له الخلق؟
- والجواب فى ذلك أن الخلق تهيأ له بالقدرة، التى لا كيف لها.
- **مسألة : فإن قال : أخبرنى أعلم الله كثيرا أم قليل؟**
- **قيل له** ، ولا قوة إلا بالله : إن كنت أردت علمه الذى نزل على أنبيائه ورسله فهو كثير، وإن أردت علمه الذى هو ذاته، فليس يوصف بالكثرة فيكون عدداً ، ولا يوصف بالقلة والبعض أبدًا؛ لأن العدد الكثير يدل على التغاير والأبعاض، وذلك فلا يوجد إلا فى الأجسام والأعراض، وكذلك العدد القليل فهو منقوص، والمنقوص بالعلة مخصوص.
- **فإن قال : أمعلوم الله كثير أم قليل؟**

---

(١) هكذا فى الأصل وربما كانت عرقه كما جاء فى الحديث الموضوع.

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : معلوم الله كل دقيق وجليل، وصغير وكبير، وممكن ومستحيل، ومعلومه ما قد كان وما سيكون، ١٠١/و كان كيف يكون، ١٤٥/وما لا يكون أنه لا يكون٠/

- **مسألة** : فإن قال : **هل يحصى تقدم الله قبل خلقه؟**

- قيل له، ولا قوة إلا بالله : هذا محال لا يجوز على الله، سبحانه؛ لأن تقدم الله هو قدمه، وقدمه ذاته، وذاته لا توصف بقلة ولا كثرة، ولا عدد ولا أمد ولا حد، وقدم الله لا يفهم ولا يدرك ولا يعلم٠

- **مسألة** : فإن قال : **لم ذكر الله اسمه؟**

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : إن تذكير الاسم أولى من تأنيثه، وإنما الأصل في تذكير الاسم أن الشئ هو الموجود، والموجود مذكرا أبدًا، وإنما جعل التأنيث للمعنى٠

- **مسألة** : فإن قال : **خلق الله الخلق من شئ أولا من شئ؟**

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : اعلم أن الله، عز وجل، خلق الخلق من غير شئ؛ لأن القديم لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص، ولا يعد بعد وجود، كما لا يوجد بعد عدم؛ لأنه إن تغير لم يخل من أن يكون تغير كله أو بعضه، والكل والبعض لا يكون إلا متحركاً أو ساكناً، والحركة والسكون محدثان، وكذلك لا يفنى[1] إلا الكل أو البعض، والكل والبعض متناهيان مقطوعان، ومحدثان بعد العدم مصنوعان؛ لأن الكل محدود والتبعيض عدد معدود، والاجتماع دليل على الجامع، والافتراق دليل على المفرق الصانع٠

---

(١) في أ : يفنا٠

فلو كان أصل الخلق قديماً، لم يخل أن يكون خلق الخلق من كله أو ١٤٦/ بعضه/ وفى الكل والبعض والاجتماع والافتراق، والحركة والسكون، فلحدوث الأشياء تفرقت واجتمعت، ولتدبير مدبرها تصرفت وتنقلت، فالحمد لله الذى لا ينقص ولا يزيد، ولا يبطل ولا يبيد.

- **مسألة؛ فإن قال : لم خلق الله الخلق؟**
- قيل له، ولا قوة إلا بالله : اعلم أن الله، سبحانه، خلق الخلق؛ **لإظهار** حكمته.
- **مسألة؛ فإن قال : فلم أظهر الله حكمته؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : لأن إظهار الحكمة حسن، وإظهار الحسن خير من تركه.
- **مسألة؛ فإن قال : فلم كلفهم؟**
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : **لإظهار** الحسن من فعلهم؛ لأن الصبر على الكلفة حسن يستوجبون عليه الثواب؛ لأن التعبد داع إلى الحكمة، زاجر عن الجهل، وكل ما دعا إلى الحكمة والرشاد، وزجر عن الغى والفساد، ففيه مصلحة لجميع العباد، مع **ما فى الصبر على المحن**، التى امتحن الله بها جميع المكلفين، من المصلحة لجميع العالمين، والغبطة بما وعد الله من الثواب، والسرور بالنجاة من أليم العقاب؛ **لأن الثواب** بعد المحنة أكمل وأعظم للنعمة. وإنما ابتدأ الخلق بدار المحنة لإظهار فضلهم، ولتعظيم سرورهم، بالنجاة بعد خوفهم، **وأيضاً فإن** طول المحن والتجارب، أفضل من الغفلة عن ١٤٧/العجائب/ لفضل الحكمة والمعرفة على الجهل، ولما فى التجارب من لقاح العقل.

- **مسألة:** فإن قال : **فما الدليل على صدق الرسل؟**
- **قيل له؛** فإن قال : الدليل على صدقهم ما أتوا به من المعجزات، مثل إحياء الموتى وكلام البهائم والشجر، والرمى بالعصا فإذا هى حية تسعى، وفلق البحر، والسير فيه يبساً.

١٤ـ باب الرد على من جحد نبوة محمد، صلى الله عليه وآله، وعلى جميع الأنبياء، وسلم تسليماً

قال المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بن على، عليهما السلام : فإن رجع إلى قول **اليهود**[١] فقال : وما أنكرتم من أن تكون النبوة لموسى، عليه السلام، من دون محمد، صلى الله عليه وآله؟

- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأنهما نبيان جميعاً لا فرق بينهما.
- **فإن قال :** فبم صحت لك نبوة **محمد،** صلى الله عليه وآله؟
- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله : بمثل ما صحت لك نبوة **موسى.**
- **فإن قال :** صحت لى نبوة موسى بالمعجزات.
- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله : وكذلك صحت لنا نبوة محمد، صلى الله عليه وآله بالمعجزات.
- **فإن قال :** وما علمكم بصدق الرواة؟
- **قيل له،** ولا قوة إلا بالله: كعلمك بصدق الرواة، ودلنا – أيضا– على صدقهم هذا القرآن الذى أتى[٢] به نبينا ، صلى اله عليه وآله وسلم، فعجز

---

(١) اليهودية : انظر الموسوعة الفلسفية ص ٥٣٤-٥٣٥-٥٣٦ .
(٢) فى أ : أتا.

١٤٨/الخلق أن / يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، وفيه تصديق نبوة **موسى وعيسى**، صلى الله عليهما وعلى الأنبياء أجمعين.

- **فإن قال** : وكذلك صحة نبوة موسى بإجماعهم معنا، ونحن غير مجمعين معكم.
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : كلامكم هذا فاسد محال؛ لأن إجماعنا معكم على نبوة موسى، صلوات الله عليه، طاعة منا لربنا نستحق بها منه ثوابه، وجحدانكم لنبوة محمد، صلى الله عليه وآله، معصية لله تستحقون بها منه عقابه، وكذلك الرد عليه إن كان **نصرانيا**[١] أو **مجوسيا**[٢].

١٥- باب الرد على من جحد الإمامة، بعد النبى، صلى الله عليه وآله وسلم

قال الإمام المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بن على، عليهما السلام : فإن رجع إلى الحق، وأقر بكلمة الصدق، وجحد الإمامة فهو مشرك؛ لأن الإمامة فرض من الله لا يسع أحد جهلها؛ لأن الحكيم لا يهمل خلقه مع ما بدا من اختلافهم من الحجة، على من عند من الحق منهم، والهداية لمن طلب النجاة من أوليائه، والبيان لتلبيس أعدائه، وإلا فقد ساوى[٣] بين حقهم وباطلهم، وفى ذلك ما يقول النبى، صلى الله عليه وآله وسلم : "**من مات لا يعرف إمامه، مات ميتة**

---

(١) انظر الملل والنحل، ٢/٥٨٥ وما بعدها.
(٢) انظر الملل والنحل، ٢/٤٠٠ .
(٣) فى أ : ساء.

جاهلية"[1]، وقول الله، سبحانه ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾[2]، فأخبر أن ١٤٩/النبى، صلى الله عليه وآله/ منذر للعباد، وأن لكل قوم هاد إلى الحق فى كل زمان يوضح لهم ما التبس من الأديان، ويرد على من دان بغير دين الإسلام، ويوضح الحجة على جميع الأنام.

فإن قال : من الإمام بعد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، إذ زعمتم أن الأرض لا تخلو من الحجة؟

قيل له؛ ولا قوة إلا بالله : الحجة بعد نبينا، صلى الله عليه وآله وسلم، أقدر الخلق على القيام بأمور الدين، وأكمل جميع المسلمين ولم يعلم ذلك غير أمير المؤمنين **على بن أبى طالب**، عليه صلوات رب العالمين، وفيه يقول أخوه رسول الله، عليه أفضل الصلاة والتسليم "**على منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى**"[3]، ويقول، صلوات الله عليه :"**من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره**"[4].

---

(١) الحديث : انظر يحيى بن الحسين : المجموع، ص ٦٣،(كتاب معرفة الله معرفة الله عز وجل).

(٢) سورة الرعد : آية ٧ .

(٣) الحديث متفق عليه رواه البخارى فى صحيحه، ٢٤/٥، ومسلم، ١٢٠٠/٧

(٤) الحديث فى سنن الترمذى، ٦٣٣/٥، وسنن ابن ماجة، ٤٣/١، والمستدرك، ١١٦/٣ وفى العلل المتناهية ٢٢٦/١-٢٢٧ .

١٦- باب الرد على من زعم أن الإمامة بعد النبى، صلى الله عليه وآله، فى ذريته وفى غيرهم من الأمة

قال الحسين بن القاسم، صلوات الله عليه : فإن رجع إلى مذهب امة نبينا، صلى الله عليه، فقال : وما أنكرت أن تكون الإمامة بعد النبى فى أهل بيته وفى غيرهم، إذ ليس معكم من الروايات شئ إلا ومعنا أكثر منها؟

قيل له ، ولا قوة إلا بالله : الحق يعرف من ثلاثة أوجه، وهى محكم الكتاب/ ١٥٠/ والسنة، وحجج الألباب، فأما أصل ذلك فى حجج العقول، فإن الحكيم لو جعلها فى جميع الناس، لوقعوا فى أعظم الإلتباس، لكثرة دعاوى الفاسقين، واغتيال الظلمة المنافقين. فمن هاهنا وجب أن تكون فى أهل بيت معروفين، بالفضل والشرف مخصوصين.

وأما فى الكتاب فقول الله، سبحانه **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيرا﴾**[١]، وقوله، سبحانه، لنبيه : **﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾**[٢] فافترض مودة ذوى القربى من رسوله.

فيأتيها الأمة الضالة عن سبيل رشدها، الجاهدة فى هلاك أنفسها، أمرتم بمودة آل النبى أم فرض على عليكم مودة تيم وعدى، ومن الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا، إلا الذين أمرتم بمودتهم، من ذوى القربى من آل بيتكم.

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .
(٢) سورة الشورى : آية ٢٣ .

فهذه بحمد الله حجج واضحة منيرة لا تطفأ، وشواهد مشهورة ولا تخفى إلا على مكابر عمى، أو شيطان غوى قد كابر عقله، ورفض لبه، وأما السنة فهى ما أجمع عليه من إمامتهم، والباطل ما اختلف فيه من إمامة غيرهم.

١٧- باب الرد على الإمامية الرافضة

قال الحسين بن القاسم بن على، عليهما السلام : فإن رجع إلى قول ١٥١/**الإمامية**/ فقال: وما أنكرت من أن تكون الإمامة لولد **الحسين** من دون ولد **الحسن** صلوات الله عليهما؟

- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأنهما فى الولادة سواء لا فرق بينهما، وكذلك لا فرق بين ذريتهما، وإلا فما حجتك فى رفضهم، وما عذرك عند الله فى إبطال إمامتهم؟!..
- **فإن قال** : بإجماعكم معنا على إمامة **ولد الحسين**، ولسنا مجمعين معكم على إمامة ولد الحسن.
- **قيل له**، ولا قوة إلا بالله : ليس إجماعنا معكم على الحق، بحجة تثبت لكم باطلكم، ولا رفضكم لحجج الله، عز وجل، مما يصحح دعواكم، وإنما إجماعنا معكم على إمامة **ولد الحسين**، طاعة منا لربنا نستحق بها منه الثواب، وتفريقكم بين أبناء[1] الرسول معصية تستحقون بها منه العقاب، والله يقول عز من قائل : ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى**

---

(١) زيادة ليست فى الأصل.

القربى﴾[1] فإن كان أولاد الحسن من ذوى القربى، فقد افترض مودتهم، وإن أخرجتموهم من قرابة النبى، فأنتم بالبعد أولى منهم، وقال، سبحانه :**﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا﴾**[2] فسمى ذكره رسولا، ثم أمر بسؤال أهله، فإن كان ولد الحسن من آل الرسول، لزمكم الإقرار بإمامتهم، وإن كانوا من غير آل الرسول، فقد صدقتم فى رفضهم، وأصبتم فى عداوتهم، ثم ١٥٢/ أنتم بين/ أحد وجهين : إما أن تقروا بإمامتهم، وتتبعوا ما أمركم الله به من سؤالهم، أعنى من كان حجة لله منهم إذ لم يستثن إحدى الطائفتين من دون الأخرى، وأمركم بسؤالهم أمرا، وإما أن تلجوا فى عتوكم ونفوركم، وتخالفوا أمر ربكم، وتظهروا أخلاقكم، فتثبت حجة الله عليكم.

١٨- باب الرد على الإمامية فى صفة الإمام

قال المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بن على، عليهما السلام : فإن رجع إلى الحق وأقر بولاة الأمر، من آل الرسول، صلى الله عليه وآله، فقال : قد أقررت بأن الإمامة فى ولد السبطين، فما صفة الإمام، الذى تلزم الأمة حجته، ويجب عليهم طاعته؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : اعلم أن الإمام، الذى تجب صفته يكون كاملا فى جميع خلال الخير غير ناقص من الصفات المحمودة، عالما بما يحتاج إليه من السنة والكتاب، فهما بما يحتاج إليه من الأسباب، تابعا لآثار سلفه المهتدى،

---

(١) سورة الشورى : آية ٢٣ .
(٢) سورة : الطلاق : آية ١٠ .

مخالفا لمذاهب الضالين، شجاعا كريما بذولا، لما له زاهدا، وفى أمور الله، سبحانه، جاهدا[1]، رصين العقل بعيد الجهل.

فإن قال : فما أنكرت من أن يكون يطبع بخاتمه الحصى[2]، ويعلم ما وراء الجدار، وما يحدث فى آفاق الأرض والسماء؟!..

قيل له، ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأن هذا الإمام الذى زعمت، لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه : إما أن يكون يعلم الغيب، وإما أن يكون يوحى إليه، ١٥٣/ وإما أن يكون/ كاهنا ساحرا.

فإن قلتم : إنه كاهن ساحر. فهذا من القول أعيبه وأفصحه، على من ينتحل التشيع فى آل الرسول؛ لأن من نسب إليهم السحر والكذب فقد عابهم بأعظم العيب، ومن كان ساحرا كذابا، فهو ظالم ﴿**ولا ينال عهدى الظالمين**﴾[3]، ولا يوفق الله الكافرين.

وإن قلتم : حاش لله أن يكون كذلك؛ ولكنه يوحى إليه. خرجتم إلى ما هو أعظم مما نفيتم، وجعلتموه نبياً وجحدتم قول الله سبحانه : ﴿ **ماكان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[4].

---

(١) فى أ : الحصا.
(٢) سورة البقرة : آية ١٢٤ .
(٣) ربما كانت مجاهدًا.
(٤) سورة الأحزاب : آية ٤٠ .

و إن قلتم : إنه يعلم الغيب، خرجتم من ملة الإسلام، ورجعتم إلى الشرك والآثام، وقد أمر الله نبيه، صلى الله عليه وآله، بالاحتجاج على المشركين، فقال : ﴿ **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسنى السوء**﴾[1]، وقال : ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم**﴾[2]، وقال : ﴿**وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا، وما تدرى نفس بأى أرض تموت**﴾[3].

وصلى الله على محمد النبى وعلى آله الطيبين، وسلم تسليما

تم كتاب الرد على الملحدين

يتلوه كتاب التوحيد والتناهى والتحديد

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٨٨ .
(٢) سورة الأحقاف : آية ٩ .
(٣) سورة لقمان : آية ٣٤ .

obeikandl.com